



التدخل الروسي في سوريا يعكس ما يعتقد فلاديمير بوتين لن يحمي بشار الأسد، لكنه ينهيه. إن الهجوم العسكري الجوي والبري الروسي على المعارضة ربما يساعد الأسد عسكرياً، لكنه يجعله دمية متحركة بين هيمنة القيسير الروسي والمعسكر الإيراني مع موافقة الجار الإسرائيلي. فزيارة نتانياهو روسيا قبل هذا التدخل تشير إلى تفاهم بين روسيا وإسرائيل على عدم تحرك إسرائيل ضد القوات الروسية في سوريا.

إن التدخل الروسي سيزيد عدد اللاجئين السوريين إلى كل أنحاء العالم. وسيساهم في المزيد من التدمير لبلد خريه رئيس تشبث بالحكم إلى أن هجر معظم شعبه وقتل أكثر من مئتي ألف منه وهو ما زال يدعى أنه يحمي الأقليات فيه. فماذا يبقى من رئيس يدعو الروس والإيرانيين إلى إنقاذ حكمه بالصواريخ والقنابل والقصف الجوي؟ وأي حل هذا الذي ستفرضه روسيا على رئيس خان بلده واستعلن بالأجانب لقتل مواطنه وتهجيرهم؟

التدخل الروسي لن ينقذ بشار، بل سينهي صانعاً منه ما يشاء. إن التدخل الروسي إلى جانب إيران مرحلياً هو جحيم للشعب السوري وللمعارضة الباسلة ولكنه سرعان ما سيكون أيضاً جحيناً ليشار الأسد. فهو لن يتمكن بعد الآن أن يتحرك من دون القرار الروسي والإيراني. وإذا اختلف الروس والإيرانيون فسيتحول إلى مأزق أكبر.

لا شك في أن روسيا كسبت دولياً موقعاً كان فلاديمير بوتين يطمح إليه منذ سقوط الاتحاد السوفيتي ومُذ كان ضابطاً في الاستخبارات الروسية وشهد مبنى الاستخبارات الألمانية الشرقية يحترق أمامه عندما سقط جدار برلين. فروسيا بوتين تريد إبراز قوتها أمام رئيس أمريكي ركز كل استراتيجيته على الخروج العسكري من العالم والتخلص من الشرق الأوسط. وأوباما منذ بداية ولايته الأولى طمح أولاً إلى العمل على استقلالية بلده عن نفط الشرق الأوسط. ونجح في ذلك مع فورة النفط والغاز الصخري التي ظهرت بكثافة في عهده وجعلت من بلده منتجاً نفطياً كبيراً يستغني عن استيراد نفط الشرق الأوسط.

أما الأولوية الأخرى فكانت إخراج قواته من العراق. فعل ذلك بفشل ذريع مسلماً البلد إلى إيران. وبعد ذلك، عقد صفقة معها حول ملفها النووي. والآن يتحرك للدفاع عنها ورفع العقوبات ويتركها تدمر سوريا وتعطل لبنان بواسطة حليفها "حزب الله" الذي يشارك في قتل الشعب السوري ويحارب إلى جانب الفيцير الروسي في هذه المرحلة لقتل السوريين وتهجيرهم.

أما أوروبا فستشهد المزيد من اللاجئين مع مشاكلهم وسيزداد عبيئهم. ولا يمكنهم التحرك طالما أن أوباما يكتفي بالتصريحات.

لقد حذر فرنسيون هولاند من خطورة ما يجري في سوريا على أوروبا. ورئيس حكومته مانويل فالز يقوم بجولة على مصر والأردن وال السعودية ليعبر عن المخاوف نفسها. وعلى رغم موافق فرنسا الجيدة بالنسبة إلى ما يجري في سوريا لا يمكنها التحرك وحدها من دون تضامن أوروبي أولًا، ثم انخراط أمريكي.

ولكن رئاسة أوباما كانت الأسوأ بالنسبة إلى الشرق الأوسط لأنه ترك بلداً كبيراً مثل سوريا يدمى ويمزق ويبتاعه الفيцير الروسي. وأوباما ينهي رئاسته من دون مبالغة بما حققه من فراغ لموقع الغرب في الشرق الأوسط. فالتدخل الروسي يزيد ألم الشعب السوري من كثافة القصف والقتل، لكن هذا الشعب الباسل لن ينسى يوماً أن الأسد استدعى قوات أجنبية لقتله وتدميره.

لن ننسى أن اللبنانيين عانوا الكثير من احتلال نظام الأسد ووالحروب التي سببها والاغتيالات التي قاموا بها بحق رؤساء ومسؤولين وصحافيين. فهذا إرث الأسد للبنان وسوريا خلال احتلال لبنان. لقد كان حافظ الأسد يردد أمام زواره الفرنسيين الذين كانوا يطالبونه بسحب قواته من لبنان، أن السوريين واللبنانيين شعب واحد وأن كثيراً من السوريين مرتبطون عائلياً باللبنانيين والوجود السوري ليس احتلالاً. أما بشار فقد اعتبر أن «الوطن ليس لمن يسكن فيه ولمن بحمل جوازه أو جنسيته، بل لمن يدافع عنه». بشار الأسد سيكون نيرون سوريا في حين أن أحد الأحرار علق أن نيرون هو بمثابة باع زهور بالمقارنة مع بشار الأسد.

الحياة اللندنية

المصادر: